

ماذا يعني "ملكوت الله"؟

لقد بدأ المخلص يسوع المسيح خدمته على الأرض بين الجموع بالكراسة ببشارة الملكوت، اي ملكوت الله أو ملكوت السموات. فكان المسيح يجول المدن والقرى قائلا: " قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالانجيل." (بشارة مرقس ١: ١٥) فماذا قصد المخلص المسيح عندما كرز أو بشر ببشارة الملكوت؟ وما هو ملكوت الله أو ملكوت السموات؟

لكي نجيب عن هذه التساؤلات، لا بد لنا أولاً أن نحدد معنى كلمة "ملكوت". تعود كلمة ملكوت إلى فعل مَلَكَ، أي صاحب السلطة العليا، أو القادر على التصرف بأمر ما. والملكوت هو المكان الذي ينشر صاحب السلطان الملك عليه، أو الزمان الذي يكون فيه سائداً. وأيضا قد يكون الملكوت وضعاً ما أو حالة معينة تخضع لسلطان الملك وسيادته. وهكذا نقول إن ملكوت الله أو ملكوت السموات هو سلطان الله أو سلطان السماء على البشر.

وعندما كرز المخلص المسيح بقرب حلول ملكوت الله ، فهو قصد قرب حلول سلطان الله وسيادته على البشر. أي أتى الزمان الذي ستتحقق فيه وعود الله منذ القديم للإنسان. الوعد بتحرير الإنسان من عبودية الخطية، ومن سلطان إبليس، ومن سطوة الموت العدو للذود، وإعادة الإنسان في نفس الوقت إلى الشركة الروحية مع خالقه. ولقد صار كل هذا ممكناً بواسطة تجسد المسيح ومجيئه إلى عالمنا. اليس هو المخلص المنتظر والموعود به منذ آلاف السنين؟ ولنلاحظ أن ملكوت الله كما تحدث عنه المسيح لا يرتبط بمكان معين، بل هو يشير إلى سلطان الله وسيادته على قلوب البشر.

وبهذا المفهوم لا يتعلق ملكوت الله بزمان محدد. فهو ليس مجرد عصر ذهبي سعيد سيتحقق في المستقبل، لكنه حكم الله وسيادته على قلوب البشر في الوقت الراهن أيضا. إن ملكوت الله الذي بدأ بمجيء المسيح، هو قبل كل شيء تملك الله كملك على حياتنا، وأن نصبح بالتالي من رعايا هذا الملك الخالق العظيم. لهذا لم يكن غريبا أن يرفض اليهود من معاصري المسيح دعوته تلك لملكوت الله، إذ كانت أهدافهم تسعى لإقامة مملكة أرضية يسودون فيها على باقي البشر. أما هدف الله فكان منذ البداية هو تحرير الإنسان من عبودية الخطية وإبليس، وإعلان ملكوته الروحي لكل البشر دون تمييز. لقد أخطأ اليهود في فهم حقيقة النبوءات التي تتحدث عن المسيح الملك الآتي وملكوت الله. فظنوا أن المسيح سيملك عليهم دون سائر الشعوب، وسيوطد سلطان ملكوته بوسائل حربية وسياسية. لكن الحقيقة أن هذه النبوءات تحدثت بلغة رمزية روحية، وأشارت في نفس الوقت أن خلاص الله أو ملكوته سيعم العالم أجمع، ولن يقتصر على شعب معين.

هذا هو بالضبط سر الملكوت الذي كشفه المخلص المسيح لتلاميذه. إن ملكوت الله حالياً لن يأتي بقوة، ولن يُعلن بوسائل حسية ملموسة كما ظن اليهود. إن ملكوت الله الذي أعلنه المسيح سينتشر بطريقة روحية هادئة غير مرئية. وسيحرر البشر من عبودية الخطية وسلطان إبليس، ويجعلهم أولاداً لله. وهكذا عندما رفض اليهود هذا المفهوم الصحيح لملكوت الله، قال لهم يسوع المسيح: "إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطي لأمة تعمل أثماره." (بشارة متى ٢١: ٤٣) وبالتالي فإن الله لم يؤجل الملكوت بسبب رفض اليهود للمسيح، ولملكوت الله الذي نادى به، لم يؤجله إلى زمن آخر في المستقبل كما يظن البعض. أجل إن أبواب ملكوت الله اليوم مفتوحة أمام جميع البشر من أي جنس أو لون أو حتى دين كانوا. وكل إنسان يقبل المسيح مخلصاً له يصبح من أتباع هذا الملكوت الإلهي.

نعم لقد حل ملكوت الله بمجيء الملك والمخلص يسوع المسيح، وإعلانه مجد الله وقوته بطريقة جديدة وعجيبة. لهذا جال المسيح شافياً المرضى ومقيماً الموتى ومخرجاً الأرواح الشريرة، ومحرراً الناس من عبودية الخطية وسلطان إبليس. ولقد قال المسيح مرة لليهود: "إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله." (بشارة متى ١٢: ٢٨) وليس هذا فحسب، بل أصد الله الأب المسيح المنتصر حياً إلى السماء. وهناك أجلسه عن يمينه، أي في مركز القوة والسلطان لكي يملك إلى الأبد. لقد حلّ ملكوت الله بمجيء المسيح الملك، ولكنه أعلن رسمياً وتأسس بعد موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات. إن موت المسيح الفدائي على الصليب كفرّ عن ذنوب وخطية البشر. وقيامته المجيدة من بين الأموات سحق المسيح إبليس ودحر الموت وفتح أبواب الخلود لكل من يؤمن.

أليس هذا بالضبط ما تتبأ به النبي دانيال عندما كتب قائلاً: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض." (دانيال ٧: ١٣ و١٤) ومن السماء سيأتي المسيح الملك ثانية في مجيئه الباهر العظيم، لكي يبيد إبليس نهائياً ويقضي على الفساد والأشرار جميعاً. وهكذا تتم الغلبة نهائياً لملكوت الله، ويملك المسيح إلى الأبد.

هذه هي حقائق ملكوت الله. ملكوت الله الذي بشر به المخلص يسوع المسيح، والذي بدأ مع موت وقيامته المسيح وصعوده حياً إلى السماء. ملكوت الله الذي يحرر الإنسان من عبودية الخطية وسلطان إبليس، ويهب كل من يؤمن الغفران والحياة الروحية الجديدة والخلود.

أليست هذه هي حاجة الإنسان في كل مكان وزمان؟ فالإنسان ليس بحاجة إلى المزيد من الشرائع والقوانين إذ أصبح لديه منها الكثير. وهو ليس بحاجة إلى وسائل حديثة للتربية إذ أن جميعها قد فشل في إعطاء النتيجة المرجوة. وما تفسخ المجتمعات وانهارها من الداخل وانتشار الفساد إلا أكبر دليل على ذلك. إن الإنسان بحاجة إلى قوة عمل الله في حياته. بحاجة إلى روح الله لكي يجدد قلبه من الداخل ويعطيه الغلبة على عاداته الفاسدة وسلوكه الشرير. ولن يتم ذلك إلا إذا سمح الإنسان للمسيح المخلص والملك المنتصر أن يملك على حياته. وعندها سيختبر المرء قوة ملكوت الله المدهشة ويصبح إنساناً حديداً. فيعرف المحبة الحققة ويسلك في طريق الصلاح والخير، مبتعداً عن أفعال الشر والإثم. لا بل يحل في قلبه فرح الله الدائم وسلامه العجيب حتى في وسط الضيق والظروف الصعبة.

هل تود صديقي القارئ أن تختبر قوة التغيير الهائلة الكامنة في ملكوت الله؟ وهل ترغب أن تجعل المسيح ملكاً على حياتك؟ لم لا تأتي إليه بالإيمان وتقبل ملكوت الله كطفل صغير. أو لم يقل المسيح: "الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله." (بشارة مرقس ١٠: ١٥)